أنت لي مسكن

كنيستُنا

كانون الثّاني ٢٠١٨

أبرشيّة أنطلياس المارونيّة

العدد ١١

ليس في الحجر، بل في القلوب !

كان الإنسان ولم يزل همَّ اللّه الوحيد في تاريخ الخلاص منذُ البدء وحتّى كتابة هذه الأسطر. ودلالةً على ذلك، أنّ اللّه لم يتعب من التوجّه إلى البشر ومن دعوتهم إلى إقامة عهدٍ معه، في سبيلِ جعلِ مسكِنِه وسَيْرِه في وسطِهم، فيكون لهم إلهًا ويكونون له شعبًا (أح٢٦/١١-١٢). من أجلهم تجسّد بعدما رأى مذَلّتَهم وسمع صُراخَهم وعَلِمَ أوجاعَهُم؛ نزل ليُنقذَهم ويُصعِدَهم إلى أرض جيّدة (خر٣/٧-٨). لذلك جاء يسوع وسكنَ بيننا مُتّخذًا جسدًا مثل جسدنا. عاش مع الشّعب، تكلّم لغته، فَرِحَ معه، حَزِنَ معه، علّمه، شفاه وكشف له عن أبوّة اللّه وحبّه لخليقَته. عندها، عرفنا أن يسوع هو "عمّانوئيل – اللّه معنا" (رؤ٢١/٣). وصار مسكن اللّه معنا ونحن أصبحنا شعبه. دعوتُنا اليوم أن نكون مَبنيّين كحجارةٍ حيّة، بيتًا روحياً، لنصبح جماعةً كهنوتيّةً مقدّسة (ابط٢/٥).

ولكي نصبح أعضاءً في هذه الجماعة، علينا أن نختبر اللّه في حياتنا ليس من خلال الولادة الطبيعيّة، ولكن من خلال الولادة من العُلى بالماء وبالروح (يو٣/٣–٥)، أي بالإيمان بيسوع المسيح وبالمعموديّة. بموته وبقيامته أرسل يسوع روحَهُ لنا وأصبحت الشَّركَة معه أَشَدَّ وأعمَق وجُعِلنا جسدًا سِرّيًّا له، هو الرأس، مُكوِّنين الكنيسة: أسرة يسوع الحقيقيّة. الكنيسة ليست حجرًا، ليست بناءً مُشيّدًا، إنّها شركة إيمان ورجاء ومحبّة. إنّها أرضيّة ولكنّها غنيّة بنِعَم السماء. إنّها بالرّوح القدس الحالّ فيها "مسكَن اللّه" الحيّ على الأرض (قو٣/١٦)، وبفيض الرّوح، أصبح قلب الإنسان أيضًا هيكلًا للّه وفيه يسكن الثالوث الأقدس. في القلب يكشف اللّه عن ذاته ويلتقي الإنسان به ويختبر حبّه اللامتناهي. هناك ينال البُنوّة، لأن اللّه أرسل إلى قلوبنا روحَ ابنِه صارخًا: "أبّا أيّها الآب!" (غل٤/٦).

يبقى قلبُنا منبعَ الصّلاة والإيمان، ومَوضِعَ اللّقاء والعهد.

لا تخف! أنت هيكل الرّوح القدس

ما إن يبدأ الإنسان بالإنخراط في ميادين الحياة، حتّى يجد نفسه كمن أُخِذَ في دوّامة السّباق مع الزّمن إذ يرى العمر يمرّ والأيّام تمضي فيما هو بالكاد يحقّق شيئًا من كلّ ما يرسمه له طموحُه. وعندها يبدأ الخوف والقلق بالتسلّط على قلب الإنسان، فيقضي حياته في خوفٍ مُستمرّ من الحاضر وقلقٍ دائمٍ من المستقبل.

هذا حال الإنسان عمومًا غير أنّه ليس هناك قاعدةً شاملة مفروضة على كلّ البشر. فالمسيحي يتحدّى بإيمانه هذا الواقع، ويأبى إلّا أن يكونَ الرّجاء المسيحيّ دون سواه المالك على قلبه، والضّمانة الوحيدة لحياته. وهذا ليس عملًا بطوليًّا يحقّقه المسيحي بذاته، إنّما هو ثمرة استسلامه لعمل الرّوح القدس في حياته، الّذي قد صار له هيكلًا يوم ناله في سرّ التثبيت ختمًا أبديًّا يحقّق فيه بنوّته للآب السّماويّ على مثال الربّ يسوع المسيح.

وبما أنّ المسيحي قد أصبح بنعمةٍ من اللّه "هيكل الرّوح القدس" (١كو ٦/ ١٩)، فإنّ اللّه لم يُعطه روح الخوف بل روح القوّة والمحبّة والفطنة (٢طيم ١/ ٧). وإنّ الرّوح القدس الشافي من جروح الخطيئة يجدّده في الصّميم بتغيير روحيٍّ، ويعلّمه أن يصلّي إلى الآب، وينيره ويقوّيه ليحيا حياة "أبناء النّور" (أف ٥/ ٨) "بالصّلاح والبرّ والحق في كلّ شيء" (أف ٥/ ٩) ويحمله على أن يسعى ليُثمِر ثمارَ الرّوح بالمحبّة الفاعلة فيحيا حياته كلّها بسلامٍ وفرح على الرّغم من كلّ ما قد يجعل ذلك يبدو مستحيلًا، وهذا فقط لأنّه: "هيكلًا للرّوح القدس".

صلاة

تعال يا روح الله... وخذني مسكنًا لك

يا روحًا وإن سكن فيَّ أحياني من جديد، يا أُقنومًا ثالثًا جَمَعَ الآب بابنه بِرباط حُبٍّ أبديّ، كيف لي أن أدخُلَ هذا الحبّ الّامتناهي؟! تعالَ، تعالَ إلى جذور أفكاري واسْقِها نورًا يشعُّ بأبهى الأعمال خيرًا على الآخرين. تعالَ إلى أعماق قلبي وامنَحهُ السَّلام فتعكُسَ عيناي سلامَك على الآخرين. تعالَ إلى هيكلي وطهِّرهُ من دَنَس الخطيئة فيُصبِحَ أهلًا للقداسة.

يا روح اللّه، إنّي أعشق تواضُعك الملموس بِمعموديَّتي، أنتَ الَّذي اخترتني مخلوقًا ضعيفًا كي تبني عليه مسكِنَكَ مُدركًا أنّي لست أهلًا لاستقبالكَ ولا أستحق أن ترتاحَ نفسُكَ فيَّ. لكن، من أنا لأتعالى عليك يا سيِّدَ التواضع؟
إنّي أستنجِدُكَ أن تمنَحَ نفسي الخلاص لأمكُثَ معكَ إلى أبد الآبدين.

آمين

أريد أن أقيمَ في بيتك

"إنزِل على عَجَل، فيَجِبُ عَلَيَّ أَن أُقيمَ اليَومَ في بَيتِكَ" (لو ١٩/ ٥).

إنّها الدّعوة التي وجّهها يسوع لزكّا رئيس الجباة، "الخاطىء" والمرذول من شعبه. دعوةٌ كانت كفيلة بإحلال الخلاص لبيت ملأته الوحدة وغابت عنه الحياة لسنين. دعوةٌ أحدثت زلزالاً في قلب زكّا الّذي اشتعل بالحبّ وأعلن منذ تلك اللحظة ما لم يتجرّأ عليه كثيرون، فقط لأنّه استقبل يسوع في بيته!

لقد عاش اللّه بين شعبه في المَقْدِس، ثمّ تجسّد عمّانوئيل ليسكن بيننا مرّةً واحدة وللأبد، قارعًا بيوت الخطأة ومقيمًا عندهم.

واليوم "يريد أن يقيم في بيتك" أنت،
يا مَن تتمثّل بقائد المئة وتقول بأنّك لستَ أهلاً لأن تستقبله في بيتك (مت ٨/ ٨) بسبب ضعفك وخطيئتك، لأنّه أتى إلى العالم لا لـ"يدعُوَ الأبْرارَ، بَل الخاطئين" (مت ٩/ ١٣). هو يريد أن يدخل بيتك ويُحِلَّ فيه الخلاصَ لأنّك "أنتَ أيضًا إبنٌ لابراهيم" (لو ١٩/ ٩) تصوَّر كم يحبّك اللّه ويشتاق إليك! قلبك هو البيت حيث يرغب اللّه بأن يعيش وينمو. فهل ستنزل عن عرش كبريائك، لتفتح له أبوابك؟ أم أنّك تفضّل إبقاءها مقفلة؟

"بيتي أنا بيتك" يا ربّ، فتعالَ واملُك عليه، وحوّله إلى مسكنٍ مقدّس بحلولك، لأنّه بدون حضورك بيتي فارغ، حزين وبارد.

ما نفع الكنيسة إن كنتُ مسكِن اللّه؟

لا يُلغي كَونَ المؤمن مسكن للّه إلتزامه في الحياة الليتورجيّة والإفخارستيّة والرعائيّة. تُشدّد الوصيّة الثالثة "إحفظ يوم الرّب" على أهمّيّة مشاركة المؤمن بالإحتفال اللّيتورجي العام في الإفخارستيّا وخصوصًا نهار الأحد، لأنّه بذلك يقوم بفعل شهادة على قداسة اللّه وعلى انتمائه إلى يسوع وكنيسته وأمانته لهما؛ فيؤكّد بالتّالي على الشّركة في الإيمان والمحبّة (YOUCAT 365).

وتُضيف الكنيسة أنّ من أراد أن يُصادِقَ يسوع المسيح عليه أن يُلَبّيَ دعوته الشخصيّة إلى وليمة العيد قدر المستطاع (YOUCAT 219).

لذلك فإنّ كلّ مناولة تزيد من إتّحادي بالمسيح، تجعلني عضوًا حيًّا في جسده، تُجدّد النِّعَم التي نلتها في سرّ المعموديّة وتقوّيني على الجِهاد ضدّ الخطيئة (YOUCAT 221) لأُقوّي بدوري الكنيسة، جسد المسيح السرّي ومسكن اللّه الأكبر.